الفصل الرابع
القسم الأول: متفرقات

المبحث الأول: تسمية يثرب بطَيْبة، وطابة والمدينة:

يلحظ أن المدينة المنورة سميت في الصحيفة بيثرب. ولكن فيما بعد كره الله ﷻ ورسوله ﷺ هذا الاسم، فاستبدلت بها أسماء طيبة وطابة والمدينة.

فقد روى مسلم عن جابر أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله تعالى سمَّى المدينة: طابة**».

وروى - مسلم أيضًا - أن رسول الله ﷺ قال: «**إنها طَيْبة - يعني المدينة - وإنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة**».

وروى الطيالسي [في مسنده] بطريق مسلم نفسها قائلًا: «كانوا يسمون المدينة بيثرب، فسماها رسول الله ﷺ طيبة».

وقال ابن حجر [في الفتح] إنه ورد من طريق أبي سهل بن مالك عن كعب الأحبار، قال: «نجد في كتاب الله الذي أنزل على موسى أن الله تعالى قال للمدينة: يا طيبة، ويا طابة...».

وردت في بعض أحاديث الرسول ﷺ باسم آخر هو: المدينة. فقد روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**».

وروى أحمد [في المسند، بسند يعتضد] أن الرسول ﷺ قال: «**من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله ﷻ، هي طابة، هي طابة**».

وذكر السيوطي [في الدر المنثور] أن الرسول ﷺ قال: «**لا تدعونها يثرب، فإنها طيبة - يعني المدينة - ومن قال يثرب فليستغفر الله ثلاث مرات، هي طيبة، هي طيبة، هي طيبة**».

وروى البخاري عن أبي حميد أنه قال: أقبلنا مع النبي ﷺ من تبوك حتى أشرفنا على المدينة، فقال: «**هذه طابة**».

وروى ابن شبة [في تاريخ المدينة، بسند يعتضد] أن رسول الله ﷺ نهى أن يقال للمدينة يثرب.

وروى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**أمرت بقرية تأكل القُرَى** [تغلبهم]، **يقولون يثربُ، وهي المدينة. تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد**».

وسماها القرآن الكريم المدينة في مواضع متعددة.

وقال ابن حجر [في الفتح] في سبب كراهة تسمية المدينة بيثرب، لأن يثرب إما من التثريب الذي هو التوبيخ والملامة، أو من الثرب، وهو الفساد، وكلاهما مستقبح. وكان ﷺ يحب الاسم الحسن، ويكره القبيح.

المبحث الثاني: بعض المتاعب الصحية

لقد واجه المهاجرون حين مقدمهم من مكة إلى المدينة بعض المتاعب الصحية، إذ أصابتهم حمى يثرب [أحمد: المسند، بسند جيد]، حتى أنهم كانوا يصلون وهم قعود [أحمد: المسند، بسند صحيح]، وصرف الله ﷻ ذلك عن نبيه محمد ﷺ. [المصدر نفسه].

لقد وُعِكَ أبو بكر وبلال بالحمى. فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ ... والموتُ أدْنَى من شِرَاكِ نَعْلِهِ

وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته، ويقول:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أبيتن ليلةً ... بواد وحولي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ؟

وَهَلْ أَرِدَنْ يومًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ؟ ... وهل يَبْدُوَنْ لي شَامَةٌ وَطَفِيلُ؟

وجاءت عائشة رضي الله عنها إلى النبي ﷺ فأخبرته بما يقولان، فقال: «**اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كحبنا مكة، أو أشد، وصحِّحها وبارك في صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وانْقُلْ حُمَّاها فاجعلها في الجُحْفَةِ**». [البخاري].

ووعكت عائشة [البخاري] وابن فهيرة [ابن إسحاق: السيرة، بسند حسن]، وغير هؤلاء، لأن المدينة كانت مشهورة بالحمى، حتى قال مشركو مكة عن مسلمي المدينة في عمرة القضاء: «إنه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب»، فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين، ليروا المشركين قوتهم، وأن الحمى لم تنهكهم كما يزعم الكفار.

واستجاب الله عز وجل دعاء نبيه فجعلها من أطيب البلاد بعد ذلك.

المبحث الثالث: قريش تهدد المهاجرين والأنصار

كان عبد الله بن أبي بن سلول أكبر زعماء المدينة. وعندما جاءها الرسول ﷺ مهاجرًا كان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ملكًا عليهم، ولم يتم ذلك لأن الرسول ﷺ أصبح زعيمًا بتاج النبوة. ولذا تأخر في إسلامه؛ لأنه كان يرى أن الرسول ﷺ قد سلبه ملكه، فأخذ يناصبه العداء. وبعد أن أعلن إسلامه ظل على عدائه للرسول ﷺ، ولكن بأسلوب آخر، وهو أسلوب النفاق. وله مواقف تدل على نفاقه كما سيأتي.

ففي أحد هذه المواقف، روى البخاري ومسلم وأحمد [المسند، بسند صحيح]، ثلاثتهم من حديث الزهري بإسناده إلى أسامة بن زيد،أن سعد بن عبادة قال: «يا رسول الله، اعف عنه، واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب، لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البُحَيْرَةِ على أن يتوجوه فَيُعَصِّبُوهُ بالعِصَابَة، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله، شَرِقَ بذلك، فلذلك فَعَلَ به ما رأيت...».

وفي رواية ابن إسحاق [السيرة، حسن] قال سعد: «يا رسول الله، ارفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإنا لننظم له الخرز لنتوجه، فوالله إنه ليرى أنه قد سلبته ملكًا».

لقد وجد مشركو مكة ضالتهم في ابن سلول هذا، لأنه على ملتهم، فكاتبوه ليكيد للمسلمين ويقوم بالدور الذي كانوا يقومون به ضد الرسول ﷺ وأصحابه في مكة. قالوا له في كتبهم إليه: «إنكم آويتم صاحبنا، وإنا نقسم بالله لتقاتلنه أو لتخرجنه، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم». [أبو داود، بسند صحيح].

وامتثل ابن أبي لأمر الكفار، فجمع كفار المدينة لمحاربة الرسول ﷺ. وعندما بلغ الرسول ﷺ أمره، قال لهم: «**لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم**»، فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا. [نفسه].

وأرسل كفار مكة إلى مسلمي المدينة يقولون لهم: «لا يغرنكم أنكم أفلتمونا إلى يثرب، سنأتيكم فنستأصلكم ونبيد خضراءكم في عقر داركم» [المنصورفوري: رحمة للعالمين، ولم يذكر مصدره].

واحترازًا من مكائد قريش حرص المسلمون على حراسة الرسول ﷺ ليلًا حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾[المائدة:٦٧]، فقال لأصحابه: «يا أيها الناس، انصرفوا عني، فقد عصمني الله عز وجل». [الألباني: صحيح الترمذي، وحسنه].

وقد دعا رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص عندما جاء يحرسه ذات ليلة، خوفًا عليه [متفق عليه].

ولم يكن الخطر مقتصرًا على الرسول ﷺ فقط، بل تعداه إلى أصحابه. فقد قال أبي ابن كعب: «لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح، ولا يصبحون إلا فيه». [الحاكم (٣/ ١٦٥-

١٦٦/ علوش)، وصححه، الشوكاني: الفتح (٤/ ٤٩)- وصححه، الطبراني في الأوسط مختصرًا- كما في المجمع (٧/ ٨٣)، ووثق رجاله وعزاه في الدر المنثور (٥/ ١٠٠) لابن مردويه وابن المنذر في الضياء و(المختارة)، والبيهقي في الدلائل].

وكجزء من مخططات قريش وأساليبها للصد عن سبيل الله ﷻ، فقد حاولت صد الأنصار عن المسجد الحرام. وقد ظهر هذا جليًا في قصة سعد بن معاذ وأبي جهل. وخلاصتها عند البخاري، أن سعد بن معاذ جاء مكة معتمرًا، وطلب من مضيفه أمية ابن خلف أن ينظر له ساعة خلوة ليطوف بالبيت آمنًا. فأخذه أمية ليطوف في منتصف النهار حين غفلة الناس، ومع ذلك لقيه أبو جهل وسأل عنه أمية، فأخبره به، فقال له: «تطوف بالكعبة آمنًا وقد آويتم محمدًا وأصحابه؟ وتشاجرا؛ ومما قاله سعد له: «والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام...» وهدده بأن الرسول ﷺ سيقتله، وقد كان أن قتله الله ﷻ ببدر [البخاري].

القسم الثاني: النشاط الجهادي العسكري والسياسي قبل غزوة بدر الكبرى

المبحث الأول: الإذن بالقتال

روى الطبري [في التفسير] عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «لما أخرج النبي ﷺ من مكة، قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم. إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن. فأنزل الله عز وجل: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ قال أبو بكر رضي الله عنه: فعرفت أنه سيكون قتال».

وزاد أحمد [التفسير، بسند صحيح] في روايته لهذا الخبر، أن ابن عباس قال: «وهي أول آية في القتال».

وقال العوفي عن ابن عباس: إن الآية نزلت في محمد ﷺ وأصحابه حين أخرجوا من مكة [الطبري وابن كثير في تفسيريهما].

لقد شرع الجهاد في الوقت الأنسب له، لأن المسلمين بمكة كانوا أقل من عشر المشركين، ولذا لم يأمرهم الله بالقتال. وعندما بغى المشركون، وأخرجوا النبي ﷺ من مكة وهموا بقتله، وشردوا أصحابه ما بين الحبشة والمدينة؛ وعندما استقر المسلمون بالمدينة وهاجر إليهم الرسول ﷺ وأصبحت المدينة دار إسلام ومعقلًا يلجؤون إليه، شرع الله جهاد الأعداء، فكانت هذه الآية أول ما نزل في ذلك. ولم يكن القتال هنا فرضًا عليهم وإنما أذن بالقتال لمن ظلم، ثم فرض عليهم فيما بعد قتال من يقاتلهم عندما نزل قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾.

ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة عندما نزل قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾.

وهكذا مر تشريع الجهاد بأربع مراحل رئيسة، وهي:

١- مرحلة الصبر دون القتال - بمكة.

٢- مرحلة الإذن بالقتال - بعد الهجرة.

٣- مرحلة الأمر بقتال من يبدؤهم بالقتال.

٤- مرحلة الأمر بقتال جميع المشركين الذين يقفون في طريق إبلاغ الدعوة.

[ابن القيم: زاد المعاد].

المبحث الثاني: الغزوات والسرايا قبل غزوة بدر

[والغزوة: ما يخرج على رأسها الرسول ﷺ، والسرية: ما يكلف أحد الصحابة بقيادها]

أولًا: أهداف الغزوات والسرايا:

عندما أذن الله لنبيه والمؤمنين بالقتال، أخذوا في إعداد القوة لرد عدوان قريش، ومن على شاكلتها. فلما أرادت قريش أن تري المسلمين أن لها يدًا في داخل المدينة، أراد المسلمون أن يروا قريشًا أن المسلمين ليسوا بذلك الهوان الذي تتصوره قريش، وأنهم قادرون على كسر شوكة قريش، وحصارها سياسيًا واقتصاديًا، ورد حقوقهم المسلوبة.

وكانت أول خطوة في هذا الميدان أن يبسط المسلمون سيطرتهم على طرق قريش التجارية، شمالًا وجنوبًا، شرقًا وغربًا.

واختار الرسول ﷺ لبسط هذه السيطرة خطتين متلازمتين:

الأولى: إرسال السرايا والبعوث لمهاجمة قوافل قريش التجارية.

الثانية: السعي إلى عزل قريش بالدخول في معاهدات دفاعية وعدم اعتداء مع القبائل المحيطة بالمدينة، والتي تخترق قوافل قريش أراضيها وهي في طريقها إلى الشام،

فكسب إلى جانبه في السنوات الأولى من الهجرة: بني ضَمْرَة وجُهَينة، وخُزاعة وغِفَار وأَسْلَم. وسيأتي ذكر هذا من خلال الكلام عن السرايا. وكسب غيرها بعدها خلال سني حياته بالمدينة كما سنرى إن شاء الله تعالى.

ولقد نجحت هذه السرايا في كل أهدافها، لا سيما إرباك قريش وحلفائها وإضعاف معنوياتهم، وضرب نشاطهم التجاري في جميع الاتجاهات، والحصول على مورد للتموين والتسليح. ونجحت في إنذار الأعداء بأن للمسلمين المقدرة على التصدي والردع. واكتسبت القوات الإسلامية مزيد خبرة في مجال التدريب العسكري، والمناورة وجس نبض الأعداء، ومعرفة دروب الصحراء وأحوال الأعداء.

ثانيًا: الغزوات والسرايا والأحلاف والأحداث الهامة:

١- غزوة الأبْوَاء (وَدّان):

غزاها رسول الله ﷺ في صفر على رأس أحد عشر شهرًا من الهجرة، كما عند الواقدي، وفي صفر على رأس اثني عشر شهرًا، كما عند ابن سعد، يريد الاعتراض على عير لقريش ويريد بني ضمرة. فسار حتى بلغ الأبواء من ديار بني ضمرة، فلم يلق حربًا، وكانت فرصة لموادعة بني ضمرة من كنانة، على أن لا يكثروا عليه، ولا يعينوا عليه أحدًا. وكتب في ذلك كتابًا لزعيمهم مَخْشِيّ بن عمرو الضمري.[ابن سعد]. وكانت أول غزوة غزاها النبي ﷺ بنفسه. [ابن إسحاق: السيرة؛ ابن سعد؛ ابن عقبة كما في الفتح؛ الطبراني كما في المجمع وبسند حسن].

وقال ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٤٢): (وذكر أبو الأسود في مغازيه عن عروة، ووصله ابن عائذ من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ لما وصل إلى الأبواء بعث عبيدة ابن الحارث في ستين رجلًا فلقوا جمعًا من قريش فتراموا بالنبل، فرمى سعد ابن أبي وقاص بسهم، وكان أول من رمى بسهم في سبيل الله).

٢- غزوة بُوَاط من ناحية رَضْوَى:

خرج الرسول ﷺ في مائتين من أصحابه يعترض عيرًا لقريش فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير، فبلغ بواط، وهي جبال من جبال جهينة من ناحية رضوى، ثم رجع حين لم يعثر على القافلة، ولم يلق حربًا. وكان ذلك في ربيع الأول، على رأس ثلاثة عشر شهرًا من الهجرة. [ابن إسحاق: السيرة؛ ابن سعد؛ الواقدي].

٣- غزوة سَفوَان (بدر الأولى - بدر الصغرى):

عندما أغار كُرْزُ بن جابر الفهري على سرح المدينة في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرًا من الهجرة، خرج رسول الله ﷺ في طلبه حتى بلغ واديًا يقال له سفوان، من ناحية بدر، فلم يدركه، فعاد إلى المدينة. وعند ابن إسحاق [في السيرة] أنها بعد غزوة ذي العُشَيْرَة.[ابن إسحاق: السيرة؛ ابن سعد؛ الواقدي].

٤- غزوة العُشَيْرَة:

خرج الرسول ﷺ في خمسين ومائة - ويقال في مائتين- من أصحابه، يعترض قافلة كبيرة لقريش في طريقها إلى الشام، وبلغ العشيرة وهي لبني مدلج، بناحية ينبع. ففاتته العير. وهي التي خرج يريدها حين عادت، ولكنها أيضًا أفلتت، وكان لقاء بدر الكبرى بسببها. ووادع في هذه الغزوة بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم عاد إلى المدينة، ولم يلق حربًا.

وكان ذلك في جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهرًا من الهجرة.[المصادر نفسها].

وقد ثبت في الصحيح وقوع هذه الغزوة، ولكن بدون ذكر لأي تفاصيل عنها. [البخاري].

وتفيدنا المصادر أن الرسول ﷺ عقد معاهدات دفاع مشترك وأمان مع غير من ذكرنا، في وقت مبكر من حياته بالمدينة، ولم يرتبط وقوع ذلك بخروج المسلمين في غزوة أو سرية معينة. مثال ذلك:

كتاب الرسول ﷺ إلى بُدَيْل بن ورقاء وبُسْر وسَرَوَات بني عمرو الخزاعيين، يفيدهم فيه أنه لم يخنهم منذ أن سالمهم، وأكد لهم الأمان من جانبه. [أسد الغابة؛ ابن سعد].

وكتاب الرسول ﷺ إلى أسلم من خزاعة، وفيه الإقرار بالمناصرة. [ابن سعد].

وكتاب الرسول ﷺ إلى بني غفار، وفيه اتفاقية دفاع مشترك ضد من يحاربهم أو يحارب المسلمين في دينهم [نفسه].

وكتاب النبي ﷺ إلى نُعَيْمٍ بن مسعود بن رُخَيْلَة الأشجعي، وفيه المحالفة على النصر والنصيحة. [نفسه].

٥- سرية نخلة:

بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش في رجب على رأس سبعة عشر شهرًا من الهجرة ومعه ثمانية رهط [أي دون العشرة] من المهاجرين. وكتب له كتابًا، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، وذلك إمعانًا في السرية، وحتى لا يعلم أحد أين الاتجاه.

وفعل ما أمر به. وعندما فض الكتاب وجد فيه الأمر بأن يمضي حتى ينزل نخلة، بين مكة والطائف، ليرصد بها قريشًا ويعلم له من أخبارهم، وألا يستكره أحدًا من أصحابه. وعندما أخبر أصحابه بأمر الرسول ﷺ مضوا معه جميعًا إلى وجهته.

وعندما نزلوا نخلة، مرت عير لقريش فيها ابن الحضرمي وعثمان بن عبد الله ابن المغيرة، وأخوه نَوْفَل، والحَكَم بن كَيْسَان مولى هشام بن المغيرة.

وتشاور الصحابة في أمر الاستيلاء على هذه العير، لأن ذلك كان في آخر يوم من رجب، وهو شهر حرام، فخشوا أن يترتب على هذا القرار نتائج غير مرضية. وعندما وجدوا أنهم لو تركوهم هذه الليلة ليدخلن الحرم وليمتنعن به منهم، تشجعوا وأجمعوا أمرهم على قتل من يقدرون عليه منهم وأخذ ما معهم، فرمى واقد بن عبد الله التميمي

عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، وأسروا عثمان بن عبد الله بن المغيرة والحكم بن كيسان، وأفلت نوفل. وأقبل ابن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين إلى رسول الله ﷺ بالمدينة.

وقال لهم الرسول ﷺ إنه لم يأمرهم بقتال في الشهر الحرام، وأبى أن يأخذ العير والأسيرين. وظن القوم أنهم هلكوا، وعنفهم إخوانهم المسلمون فيما فعلوا.

وقالت قريش: إن محمدًا وأصحابه قد استحلوا الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال.

فلما أكثر الناس في ذلك، أنزل الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾[البقرة: ٢١٧-٢١٨]. وبها فرج الله ﷻ على المسلمين ما كانوا فيه من الهم، وقبض الرسول ﷺ العير والأسيرين.

وعندما أرسلت قريش في فداء الأسيرين، اشترط الرسول ﷺ أن يكون ذلك بعد مجيء سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان، خشية منه عليهما من قريش. وكانا قد تخلفا عن القوم قبل وصولهم نخلة، بحثًا عن بعيرهم الذي أضلاه. [الطبراني، بإسناد حسن كما قال الهيثمي في المجمع].

أحكام وعبر في قصة سرية نخلة:

١- لقد بينت هاتان الآيتان اللتان نزلتا في التعليق على ما حدث في هذه السرية أن الذي فعله المشركون بالمسلمين من صد عن سبيل الله ﷻ وكفر به، وصد عن المسجد

الحرام وإخراج المسلمين من بلدهم وسلب أموالهم وفتنتهم عن دينهم، بينت الآية أن كل هذا أكبر عند الله ﷻ مما فعله المسلمون، أي القتال في الشهر الحرام.

فإذا كان المشركون يرتكبون هذه الجرائم الكبرى كلها في حق المسلمين فلا تثريب على المسلمين من قتالهم في الشهر الحرام، وإنما التثريب أن لا يقاتل في الشهر الحرام من يرتكب تلك الجرائم، إذا دعت الضرورة.

وفي هذا التعليق بيان لسياسة الإسلام في تقدير القيم الدينية والخلقية وسموه بالمعاني الروحية والإنسانية، وعدم إغفاله للبواعث النبيلة التي دعت رجال السرية للقتال في الشهر الحرام، دون الوقوف عند الظواهر والرسوم، وما التزمه الناس من تقاليد كريمة مشروعة أو موروثة.

٢- وبينت الآية أن بعض الناس يقدس ويشيد بالقوانين عندما تكون في مصلحته. فإذا رأى هذه المصلحة مهددة بما ينتقصها، هدم القوانين والدساتير جميعًا.

٣- وبينت الآية أن لا هوادة مع المشركين المعتدين، مما كان له أثره البعيد لدى المسلمين وأعدائهم.

٤- إن استخدام الرسول ﷺ أسلوب الرسائل السرية، دل على مشروعية الأخذ بالأسباب، ودل على سبق الإسلام في استخدام هذا الأسلوب، الذي لم يعرفه الغرب إلا في الحرب العالمية الثانية.

٥- لقد كانت سرية نخلة أول عملية توغل قريبًا من مكة، مركز العدو. ولذا فهي عملية فدائية، قامت على الطواعية، إذ لم يكره عبد الله أحدًا من أفراد السرية على المضي في الخطة المرسومة في رسالة النبي ﷺ السرية. [وانظر: أبي شهبة والغزالي، والشامي في المعين].

وهذه السرية تدل على أن خطة المسلمين في ملاحظة قوافل قريش لم تكن خاصة المنطقة الشمالية من الحجاز، بل تعدت ذلك إلى المنطقة الجنوبية من طريق قوافل قريش إلى اليمن.

- تحويل القبلة:

قال الجمهور: إنه في النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهرًا من الهجرة أمر الله ﷻ بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام، بعد أن صلى إلى بيت المقدس بالمدينة ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا. وكان عليه الصلاة والسلام يحب أن يصرف قبلته نحو الكعبة، قبلة إبراهيم، وكان يكثر الدعاء والتضرع، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ﴾ فكان أول صلاة صلاها إلى المسجد الحرام صلاة العصر، وبلغ الخبر أهل قباء في اليوم التالي وهم يصلون الصبح، فتحولوا إلى المسجد الحرام [متفق عليه؛ البداية].

- فريضة صيام رمضان:

قال الطبري [في تاريخه] في حوادث السنة الثانية الهجرية: (... وفي هذه السنة فرض صيام شهر رمضان، وقد قيل: إنه فرض في شعبان منها...).

وثبت في الصحيحين، أن الرسول ﷺ عندما قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فصامه، وأمر بصيامه، فلما نزل الأمر بصيام شهر رمضان، كان رمضان الفريضة، وخير الناس في صيام عاشوراء.